﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦﴾

[الصافات: 25 - 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيتَينِ لِما قبلَهُما:

الانتقال من مشهد الإيقاف للمساءلة إلى ما فيه من التقريع والتبكيت

لمّا طلبَ المولى تعالى إيقافَهم للسُّؤالِ عمّا أجرَموا، وكذَّبوا، وخلَطوا الباطلَ بالحقِّ، وكانَ مِن الطَّبيعيِّ أنْ يُثارَ المُخاطَبونَ لسَماعِ السُّؤالِ، وتَشرئِبَّ الأذهانُ مُصغيةً له؛ بيَّنَ النَّظمُ طبيعةَ السُّؤالِ الَّذي يَنتظرُهم، وكشفَ عن ذلك الأمرِ المُجمَل بالتَّفصيل، ولمّا كان السُّؤالُ مُنبِئًا عن عَجزِهم في ذلك اليومِ عنِ التَّناصُر فيما بينَهم؛ أوضحَ النَّظمُ حقيقةَ موقفِهم من السُّؤالِ ببيانِ عَجْزِهم واستسلامِهم لأمرِ اللّه؛ إذ لا يُمكِنُهم دفعُ ما هُم فيه من مِحَنٍ وآلام[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَنَاصَرُونَ﴾: (نصر) يدلُّ على إتيانِ الخيرِ، ونصرَ اللّهُ المُسلمينَ: آتاهُم الظَّفرَ على عدوِّهم، وهو المعونةُ والتَّأييدُ[2]، وليس النَّصرُ أيَّ خيرٍ أو أيَّ معونةٍ، بل معونةٌ للمظلوم[3]، فهو ضدُّ الخذلان، وأصلُها الزّيادةُ والإمدادُ بالقوَّة، كما تَمُدُّ النَّواصِرُ الأوديةَ والتِّلاعَ بالماء، وكما يَمُدُّ الغيثُ الأرضَ، وتتَّجهُ الزّيادة بحرفِ الجرِّ، فـ(نصرَ على) بمعنى: أعانَ وغلبَ، ومنه قولُهُ سبحانه: ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 14]، و(نصرَ مِن) بمعنى: خلَّصَ، وأنقذَ، ومنه قولُهُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 329، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 210، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 102.

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نصر).

(3) الخليل، العين، والزبيدي، تاج العروس: (نصر).

تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ [هود: 30][1]، ومعنى التناصر في الآية: الإعانة والإنقاذ.

2) ﴿مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾: (سلم) يدلُّ على الصِّحَّةِ والعافية، فالسَّلامة: هي "التَّعرّي من الآفاتِ الظّاهرةِ والباطنة، قال تعالى: ﴿بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: 89]؛ أي: مُتعَرٍّ مِنَ الدَّغَلِ، فهذا في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البقرة: 71]، فهذا في الظّاهر"، وسُمّيَتِ الجنَّةُ دارَ السَّلام، فلا نقصَ فيها[2]، والسِّلْمُ ضدُّ الحَرْبِ، ومن ذلك: "أسلمَ الشَّيءَ إليه: دفعَهُ إليه، وقريبٌ منه معنى الانقياد؛ لأنَّه تسليمُ نَفْسٍ، ومنه تسليمُ النَّفْسِ لله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: 83]، أي: استسلمَ، وانقادَ[3]، ومعنى ﴿مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ في الآية: مُنقادونَ خاضِعونَ دونَ مُنازعةٍ ولا مُدافعةٍ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أمـامَ الخـالـقِ القـاهِـرِ تنتفي الغلبةُ والتَّناصُر

حُشِرَ الظّالمونَ وأزواجُهم معَ آلهتِهم الَّتي يَعبُدونها من دونِ اللّه، فصدرَ الأمرُ بأخْذِهم إلى سواءِ الجحيم، وقبلَ إنفاذِ العذابِ فيهم أوقِفوا للمُساءلة، فما الَّذي جعلَكُم في هذا اليوم عاجِزينَ عن التَّناصُرِ فيما بينَكم، مع أنَّكم كُنتم تَزعُمونَ في الدُّنيا أنَّكم جميعٌ مُنتصِرٌ؟ ثمَّ أضربَ النَّظمُ عمّا تقدَّم بعدَ وُجومِهم عن الجواب وعَجزِهم عن الحِراك، فأخبرَ عن حالِهم بأنَّهم ليسوا في هذا اليومِ بقادرينَ على شيءٍ، بل هم خاضِعونَ مُنقادونَ[5].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصل: (نصر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (سلم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سلم).
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 329، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 103.
(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 78.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الاستفهامِ بـ ﴿مَا﴾ وغرضه البلاغي:

التَّعجيبُ والتَّعجيزُ والتَّقريع جزاءُ التَّكبُّرِ والشُّعور بالعزَّة والغلبة

عبَّرَ النَّظمُ الجليل بالحرفِ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾، وهو دالٌّ على الاستفهام التَّعجيبي ممّا آلَ إليه أمرُ هؤلاءِ الظّالمين، أي: ماذا أصابَكُم حتَّى صِرتُم لا تَتناصرون؟[1] وفي ذلك تعجيزٌ لهم حينَ يُقابَلُ حالُهُم بما كانوا عليهِ منَ التَّكبُّرِ والشُّعورِ بالعِزَّةِ والغلَبة، فقد قالوا: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [القمر: 44][2]، فصارَ الاستفهامُ تقريعًا وتوبيخًا؛ إذ ادَّعَوا ما ليسوا أهلًا له[3]، ومِنَ المعلومِ أنَّ (ما الاستفهاميَّةَ) يُطلَبُ بها بيانُ الأمرِ المُبهَم المجهول الحقيقة، وإن كان معلومًا للسّائلِ إلّا أنَّه يُنزَّلُ السّائلُ منزِلَةَ مَن لا يعلَمُ الحقيقةَ؛ لغرضِ إظهارِ عَجزِهم مع بيانِ سوءِ مَوقفِهم وحالِهم الَّذي يتطلَّبُ التَّناصُرَ والتآزُرَ، وفي ذلك التعجيب من التفاوت الشديد بين ادعائهم العزّة وبين واقعهم من الخذلان[4].

بلاغةُ الالتفاتِ من الغَيبةِ إلى الخطاب:

خطابُ التَّوبيخِ والتَّهكُّمِ دليلُ شِدَّةِ المواجَهة

التَفتَ النَّظمُ عن الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: 24]، إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾، عند الحديثِ معَ المشركينَ، وذلك لمناسبةِ المُخاطبة هنا مع مقصَدِ التَّقريعِ والتَّوبيخ، فما وُقِّفوا إلّا ليُسألوا، وللمُخاطبةِ بالسُّؤالِ أثرُها البالغُ في التَّقريع والتَّوبيخ ما لا يكونُ بالحديث عنهم، وهُم غائبونَ[5].

معنى اللّامِ في ﴿لَكُمْ﴾:

الخِذلانُ مختصٌّ بالظّالمينَ دون غيرهم

جُرَّ الضَّميرُ في قولِه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ باللّام، وكلٌّ مِنَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 103.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 102.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 469.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 79.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 210.

الجارِّ والمجرورِ مُتعلِّقٌ بمحذوف خبر، والتَّقديرُ: (ما الَّذي استقرَّ لكم)، وهي لامُ الاختصاص، وتدلُّ على أمرٍ اختصَّ بالظّالمينَ أوقعَهم في تلك الحالِ، أي: أيُّ شيءٍ اختصَّ بكم؟[1] وأيُّ شيءٍ حصلَ لكم[2]، فهو مانعٌ خاصٌّ بهؤلاءِ الظّالمين، وفي ذلك تقريعٌ لهم أنْ مُنِعوا - وهم أصحابُ المَنَعةِ - بأمرٍ خاصٍّ بهم دونَ غيرهم.

تعيين مرجع الضمير في شبهِ الجُملة ﴿لَكُمْ﴾:

عادَ الضَّميرُ في شبهِ الجُملة ﴿لَكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ إلى الَّذينَ حُشِروا، ووُقِفوا للمُساءلة، وهُم الظّالمونَ وأزواجُهم وما يعبدونَ، وفي ذلك العودِ إلى الجميعِ - الَّذين كانوا مُتناصرينَ في الدُّنيا على الضَّلال معَ عَجزِهم اليومَ عن ذلك - بيانُ خَيبتِهم وفشلِ مَسعاهُم، وإظهارُ ظنِّهم العزَّةَ وواقعُهم الذُّلَّ والهَوان[3]، والنَّظمُ الاستفهاميُّ آثرَ التَّعبيرَ بالجملة الاسميَّة؛ للدَّلالة على ثبوتِ ما يلزَمُهُ مِنَ التَّعجيبِ والعَجْزِ والهَوان وسوءِ الحالةِ الَّتي آلوا إليها.

أشـدُّ الـخَـيـبـةِ ادِّعـاءُ الـذَّليلِ العِزَّةَ

فائدة النفي بأداة ﴿لَا﴾:

جاءَ النَّفيُ في قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ بـ ﴿لَا﴾ النّافية الدّالَّة على نفي الحال والاستقبال معًا، دون أن يُقال: (ما لكم غير متناصرين) ونحو ذلك، لبيان الحال والفعل الذي هم عليه، فهو نفي للفعل بأكمله، فلا تناصر فيما بينهم، مع نفي عموم أنواعِ النُّصرةِ بينهم حالًا ومآلًا، وفي ذلك إشارةٌ إلى تمامِ عَجْزِهم عن فعلِ أيِّ شيءٍ مع الحاجةِ الماسَّة، فما الَّذي جعلَكُم في هذا اليومِ عاجزينَ عن التَّناصُرِ فيما بينكم[4]؟

الـظـالـمـون يـوم الـقـيـامـة لا يتناصرون

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 103.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 210.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 79.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 78.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ مادَّةً وصيغةً:

عجزُ مُدَّعي التَّناصُرِ عن النُّصرة مُنتهى الخِذلانِ والحَسرة

عبَّرَ النَّظمُ بالفعلِ المُضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ الدالِّ على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ، ممّا يُثبِتُ عَجْزَهم عن التَّناصُرِ والتَّعاوُنِ على سبيلِ الاستمرار، كما أفادَتْ صيغةُ (التَّفاعُل) الموضوعةُ للدَّلالة على المُشاركةِ؛ لبيانِ أنَّهم عاجزونَ عن النُّصرةِ في حالِ التَّشارُكِ، فهُم عاجزونَ عن نُصرةِ أنفسِهم في حالِ الانفراد من باب الأَوْلى، وفي ذلك إشارةٌ إلى بُطلان أيَّةِ مُحاولةٍ للانتصارِ معَ تصويرِهم لأنفسِهم نُصرةَ بعضِهم بعضًا، وأنَّهم أولو الجدِّ والشَّكيمةِ والنَّخوةِ والحَميَّة[1].

توجيهُ القراءاتِ في ﴿تَنَاصَرُونَ﴾ وبلاغتها:

لا عجلةَ بالنَّصر بدت من الظالمين ولا تمكُّث

جاءَتْ جملةُ: ﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾ بقراءتينِ مُختلفتَين، فقرأها الجمهورُ بتخفيفِ التّاء وحذفِ إحدى التّاءين، والأصلُ: تَتَناصَرونَ، في حين قرأ البزّيُّ عن ابنِ كثير بخلف عنه وأبو جعفر بتشديدِ التّاء ﴿لَاَ تَّنَاصَرُونَ﴾، وذلك بإدغامِ إحدى التّاءينِ في الأخرى[2]، وكأنَّ في قراءة التَّخفيف إشارةً إلى عجلةِ النُّصرةِ حتّى تخفَّفَ النَّصرُ مِنَ التّاءِ الأولى، في حين كانَ في قراءةِ التَّشديدِ إشارةٌ إلى التَّمكُّث وإعمالِ الحيلة[3]، ويمكنُ القولُ بأنَّ التَّخفيفَ يشيرُ إلى نفيِ أقلِّ درجاتِ التَّناصُرِ فيما بينَهم، في حين يُشيرُ التَّشديدُ إلى صعوبةِ التَّناصُرِ فيما بينَهُم وتعسُّرِه عليهم.

دلالةُ جملةِ الحالِ ﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾:

حالُ الظالمين مَحلُّ تعجيب، وتَجبُّرُهم يستوجبُ التَّقريع

وقعتْ جملةُ النَّفي في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ حاليَّةً؛ للدَّلالة على محلِّ الاستفهامِ في جملةِ: ﴿مَا لَكُمْ﴾؟[4] أي: فأيُّ شيءٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 210.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 234، والقاضي، شرح طيبة النشر: 2/ 93.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 210.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 103.

حصلَ لكُم، وشغلَكُم، وألهاكم عن حالِ كونِكم لا تناصرونَ؟[1] فالسُّؤالُ ليسَ عن عمومِ حالِهم، ولكنْ لأجلِ حالٍ خاصَّةٍ، وهي عدمُ التَّناصُرِ معَ شدَّة الحاجةِ والضّيق، فالمسؤولُ عنهُ في الحقيقةِ هو عدمُ التَّناصُر، لكنْ جُعِل حالًا؛ لبيان أنَّ عدمَ التَّناصُرِ من عَجَبِهِ انتقلَ السُّؤالُ إليهم، فصاروا هم محلَّ العجَبِ، فلم يقلِ النَّظمُ: (لمَ لا تتناصرون؟)؛ لأنَّ غرابةَ عدمِ التَّناصُرِ وعجبَه جعلتِ السُّؤالَ يتوجَّهُ إلى غَرابتِهم أنفسَهُم حالَ عدمِ التَّناصُر.

فائدةُ الإضرابِ بـ﴿بَلۡ﴾:

الظالمون يومئذٍ عاجزون عن مجرد الجواب

آثرَ النَّظمُ الجليلُ الإضرابَ عن الجوابِ بـ: (أنَّهم لا يتناصَرونَ)[2] إلى التَّعبيرِ بـ﴿بَلۡ﴾ الإضرابيَّة، لإبطالِ إمكانِ التَّناصُرِ بينَهم، فكانَ بيانُ حقيقةِ الموقِف والحالِ أبينَ من الجوابِ في التَّعبير؛ إذ يلزمُ من الاستسلامِ أنَّهم عاجزونَ عن النُّصرةِ، بل هم عاجزونَ عن الجوابِ أيضًا، وفي ذلك تهكُّمٌ بهم بعدَ استفهامِ التَّعجيز[3]؛ إذ ليسوا غيرَ مُتناصرينَ فحسبُ، بل هم مُستسلِمونَ لا يَجدونَ حيلةً أصلًا.

نكتةُ الالتفاتِ مِنَ الخطابِ إلى الغيبة:

الإبعادُ أمارةُ زيادةِ الغَيظ من الظالمين

التفتَ النَّظمُ عن أسلوبِ الخطابِ للظّالمينَ الواقعِ بالسُّؤال: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ إلى التَّحدُّثِ عنهم بأسلوبِ الغَيبة، فقال: ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾، فلم يقل: (بلْ أنتم اليومَ مُستسلمون)، ونكتةُ ذلك هي بلوغُ هؤلاءِ الظّالمين درجةً من العَجزِ التّامِّ حتى أُبعِدوا عن الخطاب، وتمَّ الالتفاتُ عنهم وإحلالُهم مَحَلَّ الغَيبةِ المُؤذِنةِ بالإبعاد[4]، وفي ذلك إشارةٌ إلى مزيدِ الغيظِ عليهم[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 210.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 210.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 103.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 211.
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 244.

نكتةُ التَّعبيرِ بالضَّمير ﴿هُمُ﴾:

العجزُ والاستسلامُ مخصوصٌ بالظّالمين

عبَّرَ النَّظمُ عن الظّالمينَ العاجزينَ عنِ التَّناصُرِ والانتصارِ لأنفُسِهم بالضَّميرِ ﴿هُمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾، ونكتةُ ذلك التَّخصيصُ للاستسلامِ بهم بمعونةِ أداةِ الإضرابِ ﴿بَلْ﴾، ومن المعلومِ أنَّ الضَّميرَ عندما يعودُ إلى الذَّوات الموصوفةِ بالظُّلم والتَّكذيبِ يرادُ به تعليلُ حُكمِ الخبر، أي: الاستسلام[1]، فيكونُ ذكرُ المسنَدِ إليه دالًّا على علَّةِ حُكمِ الخبر، وليكونَ الخبرُ نتيجةً لتلك العلَّة.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾:

يومُ الحساب لحظاتُ ضيقٍ ونَدامةٍ

جاءَ التَّعبيرُ في الآيةِ بلفظ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾؛ ليَدلَّ على أنَّ هذا الحكمَ ثابتٌ لهم في يومِ الجزاء، بكلِّ ما فيهِ من الضّيق وشدَّة الحاجة إلى دفع العذابِ والانتصار، خاصَّةً مِن قومٍ يدَّعونَ الغلبةَ والنُّصرةَ، وفي ذكرِ لفظ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ إشارةٌ إلى النِّكايةِ بهم[2]، وتحديدُ زمنِ الاستسلامِ بيومِ الحساب؛ لأنَّهم كانوا يُكذِّبونَ به، ويَستبعدونَه، فيكون الاستسلامُ فيه مُعلَّلًا بالتَّكذيب في ذلك اليوم، وليكونَ درسًا للمُكذِّبين بذلك اليوم أنَّه يومُ الاستسلام.

دلالةُ تعريفِ الظَّرف وتقديمِه ﴿ٱلْيَوْمَ﴾:

تعيينُ يومِ الحساب مَدعاةٌ للعِظةِ والاعتبار

جاءَ لفظُ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ مُعرَّفًا في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على العهدِ، فهو اليومُ المُخصَّص المُعيَّنُ الموعودُ الَّذي يُكذِّبُ به المُستكبرون، وتعريفُهُ يدعو إلى استحضارِ الجَزاءِ على الأعمال، وأنَّه واقعٌ - لا محالةَ - فشأنُهُ في التَّعيُّن كسائرِ الأيّام المعهودةِ المتعيِّنة، وأفادَ تقديمُهُ على ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾

(1) أبو موسى، خصائص التراكيب، ص: 242.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 103.

تخصيصَ ذلك اليومِ بالاستسلام؛ لأنَّهم كانوا مُعاندين لوقوعِهِ طيلةَ حياتهم، فكانوا يتناصرونَ في الدُّنيا على الباطل؛ حتَّى رَأوا ذلك اليومَ، فاستسلموا، وانقادوا.

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ جَمْعًا ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾:

الاستسلامُ مُلازمٌ للظالمين يومَ القيامةِ لا يزولُ عنهم

عبَّر النَّظمُ بلفظِ ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾، وهو اسمُ فاعلٍ مجموع؛ للدَّلالةِ على تمكُّنِ وصفِ الاستسلامِ فيهم، كأنَّ الأصلَ فيهم الاستسلامُ لا التَّناصُرُ ودفْعُ الشَّدائدِ، فهو استسلامٌ ثابتٌ عريقٌ فيهم، ليس له زوالٌ، وفي التَّعبيرِ عنهُ بصيغةِ الجمع دلالةٌ على عكْسِ مفهومِ (التَّناصُر)، وهو التَّداعي بينَهم إلى الانقيادِ والاستسلام[1]، فصاروا بهذا التَّعبيرِ أقربَ إلى التَّعاوُنِ على الخُضوعِ ومحاولةِ الانقياد، وإبطالِ أيَّةِ مُحاولةٍ للاعتراض، كما دلَّتْ صيغةُ (الاستفعالِ) على المُبالغةِ في إعلانِ الاستسلام، فهم يَطلُبونَهُ بكلِّ حِرصٍ وجدٍّ ومُثابرةٍ، والنَّظمُ اختارَ اللَّفظَ المشتقَّ من (الاستسلام) دونَ الخضوعِ والانقياد؛ لما توحيهِ من دلالةِ (الإسلام)، الَّذي كانوا يَرفضونهُ في الدُّنيا، فلمّا رَأوا ما يوعدونَ ذلك اليومَ؛ لم يَكتفوا بالإسلامِ، بل صاروا إلى الاستسلامِ الكلّيِّ.

بلاغةُ المجازِ في ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾:

الاستسلامُ انقيادٌ بذِلَّةٍ وضَعْفٍ

جاءَ التَّعبيرُ عن حالِ الكفّارِ يومَ الدّينِ بالخبرِ الواردِ في قولِهِ: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾، وأصلُ الاستسلامِ هو طَلَبُ السَّلامة[2]، وليس ذلك بمقصودِ الآيةِ، فقد كانوا متكبِّرينَ يَدَّعونَ الغلَبة، فعُبِّر بـ(الاستسلامِ)، وأُريدَ به لازمُهُ عُرْفًا، أي: الانقياد[3]، فهُم اليومَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 211.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 8.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 79.

مُنقادونَ لا حيلةَ لهم[1]، وفي ذلك إشارةٌ إلى ذلَّتِهم يومَ الدّينِ وخِزيهم، وفي لفظِ (الاستسلام) ما يوحي بالمُحارَبةِ للّه تعالى ورسولِهِ في الدُّنيا، وعندَ وقوعِ ذلك اليوم الحقِّ أعلنوا عن استسلامِهم في تلك الحربِ خاسرينَ، ولذا يَحتمِلُ أَنْ يكونَ قولُه: ﴿هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ كنايةً عن الخَسارةِ في تلك المُحارَبةِ والمَعركةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الاستسلام والانقياد والخضوع:

الخضوعُ استجابةٌ، والانقيادُ إكراهٌ معَ إمكانِ الامتناعِ، والاستسلامُ خضوعٌ تامٌّ

يجتمعُ (الاستسلامُ والانقيادُ) في الخضوعِ؛ إذِ الخضوعُ استجابةٌ وتطامُنٌ[2]، ثمَّ تفترقُ الثَّلاثةُ، فالانقيادُ خضوعٌ مع إمكانِ الامتناعِ[3]، ومنهُ انقادَ السَّجينُ؛ أي: إنَّه لم يُحدِثْ أيَّةَ مُعارَضةٍ ولا مُحاولةِ حِراك، وهو خضوعٌ باعتبارِ الإكراهِ فيه[4]، فليس خضوعًا برغبةٍ ولا اختيارٍ، وأمّا الاستسلامُ؛ فهو خضوعٌ أيضًا، لكنَّه استجابةٌ وتركٌ للمواجهة، يقال: استسلمَ العدوُّ، بمعنى: تركَ سِلاحَهُ، وأوقفَ الحربَ مضطرًّا، وهو خضوعٌ تامٌّ طلبًا للسَّلامة، ولأجلِ هذا حسُنَ اختيارُ لفظِ ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ في الآيةِ؛ لدلالتها على بُطلان أيَّةِ محاولةٍ للتَّناصُر والإباءِ.

(1) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 38.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خضع).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نقد).
(4) بيت الله بيات، معجم الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، ص: 220.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»